مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م ٣٣ ع ٣ ص ص: ٤٤١ – ٤٦٦ (٢٠٢٥م)
DOI: 10.64064/1658-4295.1034

صورة الذَّات في خطبة أكثم بن صيفي في بني تميم: مقاربة حجاجية

فايزة سليم الجهني

أستاذ البلاغة والنقد المساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة طيبة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية

fthobuana@taibahu.edu.sa

المستخلص:

يهدف البحث إلى استجلاء صورة الذَّات في خطبة أكثم بن صيفي في بني تميم في ضوء المقاربة الحجاجية، والوقوف على صور الذَّات التي صنعها الخطيب لذاته، والكشف عن دورها الحجاجي في تحقيق إقناع المخاطبين لقبول مضامين الخطاب، والتي ترمي إلى إقناعهم بالدخول في الإسلام واتباع ما يدعو إليه النَّبي ﷺ. وجاء البحث في مقدمة تضمنت أهداف البحث وأهميته والدراسات السابقة له ومنهجه وخطته. وتمهيد يعرض لمفهومي: الحجاج و صورة الذَّات (Ethos) بإيجاز، ثم محاور البحث المتضمنة لـ: نص الخطبة والتعريف بقائلها ومناسبتها، وكذلك دراسة صورة الذَّات (Ethos) في مقدمة الخطبة وعرضها ونهايتها معتمدة على أبرز الآليات الحجاجية المتعددة التي أسهمت في بناء صورة الذَّات الخِطَابية، ثم خاتمة تضمنت أبرز النتائج منها ما يلي: ظهر تآزر صورة الذَّات الخِطَابية مع صورة الذَّات ما قبل الخِطَابية في بناء صورة الذَّات لأكثم، فالخطيب المتسلح بسمات الحكمة وسداد القول يتسم بنفوذ قوي في صورته الخِطَابية، فيكون وسيلة للتأثير في المخاطبين وإقناعهم، كما ظهر بناء أكثم لصورته الخِطَابية في مقابل إعلائه من صورة النَّبي ﷺ؛ تحقيقًا لإقناع المخاطبين بدعوته ﷺ والإيمان بها يقينًا وحبا لها. ويوصي البحث بدراسة الخطب والوصايا في العصر الجاهلي متمثلة في صورة الذَّات بنوعيها وفي ضوء المقاربة الحجاجية سعيًا إلى اكتشاف صور الذوات العربية وسماتها وتحقيقًا لإبراز معالم الثقافة العربية القديمة وصور الحياة فيها.

الكلمات المفتاحية: صورة الذَّات، أكثم، حجاج، صورة خطابية، بلاغة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

فإنَّ الخطابة وسيلة العربيّ الكبرى للإبانة عن معتقداته وفكره وما يدين به، وهي صناعة من الصناعات التي يروم من خلالها الخطيب تحقيق الإقناع والتَّأثير في المخاطبين، فهي _ كما قال (أرسطو)

(٣٢٢ ق.م): "قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"[١] - [٢]. ويؤدي الخطيب فيها دورًا محوريًّا في بنائها؛ فهو منتجها ومرسي دعائمها؛ ومن هنا كان لشخصيته وصورتها بالغ الأثر في الإقناع والتَّأثير، وقد اصطلح على تسمية تلك الصُّورة: بصورة الذَّات "Ethos"[٣].

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تُعدُّ صورة الذَّات عنصرًا أساسيًّا في بناء الخطاب؛ فالصُّورة الخِطَابية للخطيب هي أول ما يواجه المتلقي، وهي مفتاح تلقيه للخطاب، ومن هنا كان لتلك الصورة شأنٌ في بعديها: الخِطَابي والقبلي، فصورة الخطيب في خطابه من أهم وسائل الإقناع والتَّأثير في المتلقي؛ فالخطيب يحاجُّ داخل خطابه من خلال صورته التي يشكّلها عن ذاته؛ ومن هنا فإنَّ حضور ذات الخطيب لا يمكن طمسها أو تهميشها في خطابٍ يتوجه إلى متلقين يستمعون إليه، فلها وجودها عبر ملفوظاته سواء أكان حضورها صريحًا أم مضمرًا؛ ومن هنا جاءت أهمية دراسة تلك الصُّورة ودراسة دورها الجليّ في صناعة الخطاب وبنائه.

ومن أسباب اختيار موضوع هذا البحث: (صورة الذَّات في خطبة أكثم بن صيفي في بني تميم مقاربة حجاجية) ما يلي:

_ إنَّ صورة الذَّات (Ethos) لم تحظ باهتمام عدد كبير من الباحثين في مجال الخطاب؛ فقد اهملت صورة الذَّات المتكلمة في المجال الحجاجي؛ لتركيزه على دراسة الحجاج الخِطَابي بأدواته ووسائله اللُّغوية (Logos).

_ لمكانة أكثم بن صيفي في الثقافة العربية القديمة، فقد تواتر الأدباء على عدِّه خطيب العرب وحكيمهم، وقد حظي بمنزلة عظيمة؛ لدعوته الذائعة الصيت عن القيم العليا والأخلاق الحميدة التي تبني مجتمعًا مستقرًا وآمنًا.

أهداف البحث وإشكاليته:

يهدف البحث إلى تجلية مفهوم وآليات تقديم صورة الذَّات في خطبة أكثم بن صيفي في بني تميم في ضوء المقاربة الحجاجية، والوقوف على صور الذَّات التي صنعها الخطيب لذاته، والكشف عن دورها الحجاجي في تحقيق إقناع المخاطبين لقبول مضامين الخطاب؛ ومن هنا تكمن إشكالية هذه الدراسة في الكشف عن مدى قدرة البحث على استجلاء صورة الذَّات (Ethos) في الخطبة واستجلاء أبرز الاليات

---

(١) يعني (أرسطو) بالأمور المفردة: "كل موضوع يراد": علي محفوظ، "فن الخطابة وإعداد الخطيب"، (ط. د، الجزائر، مكتبة رحاب، ت. د): ١٣.

(٢) أرسطوطاليس، "الخطابة الترجمة العربية القديمة"، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، (ط. د، بيروت، دار القلم، ١٩٧٩):٩.

(٣) تتبنى الباحثة ترجمة " Ethos" لمصطلح: صورة الذَّات": ينظر: باتريك شارودو ودومينيك منغنو، "معجم تحليل الخطاب"، تر: عبد القادر المهيري_ حمادي صمود، (ط. د، تونس، المركز الوطني للترجمة، ٢٠٠٨):٢٣١.

الحجاجية التي أسهمت في بنائها، وفي ضوء هذه الإشكالية طرح البحث عددًا من الأسئلة التي يحاول الإجابة عليها، وهي:

_ ما الصُّورة التي سعى الخطيب في خطبته إلى تكوينها عن ذاته؟
_ ما الصُّورة القبلية التي أظهرتها الخطبة للخطيب؟
_ ما الهدف الذي يرمي إليه الخطيب من بناء صورته الذَّاتية؟
_ ما الآليات الحجاجية التي استند إليها الخطيب لبناء ذاته وإثارة أهواء المخاطبين؟

الدراسات السابقة

لم يقف البحث على دراسةٍ تناولت مدونة البحث وفق المنهجية التي سار عليها هذا البحث، ولكن هناك بعض الدراسات القليلة ذات الصلة بموضوع البحث، منها:

_ دراسة: (النَّثر الفني عند أكثم بن صيفي جمعا وتوثيقا ودراسة)، قاسم القرني، رسالة ماجستير في الأدب والنقد (١٤٣٦)، كلية اللُّغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية. هدفت الدراسة إلى جمع التراث النَّثري عند أكثم بن صيفي في سفر واحد، وتوثيق مصادر تلك النُّصوص ودراستها من جهة مضامينها وبنائها الفني. ومن أهم نتائج الدراسة: أنَّ أدب أكثم يعد في مصاف أدب الحكمة العالية والسامية التي تمثل القيم العليا عند العرب، وأنَّ إرث أكثم بن صيفي كان محفوظًا في عصور الحراك الثقافي للعرب.

_ ودراسة (حجاجية المثل عند أكثم بن صيفي دراسة تحليلية)، بدر بن علي، بحث منشور في مجلة كلية الآداب واللُّغات، جامعة بسكرة، (ع. ١٩)، (٢٠١٦). تحدثت الدراسة عن أمثال أكثم وسماتها، ودرست المثل بأنواعه مع عرض الشواهد وتطبيقاتها من المدونة. ومن أبرز نتائجها: ارتباط الأمثال بحياة العرب وعاداتهم وثقافاتهم، وظهور علاقة للحجاج بالمثل كما ظهر من أمثال أكثم.

_ ومن الدراسات التي درست الإيتوس في عددٍ من المدونات: الشعرية أو النثرية، منها:

_دراسة (الحجاج بالايتوس في شعر عنترة بن شداد)، نداء الحارثي، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، مج:٤، ع:٤٦، (٢٠٢٢). هدفت الدراسة إلى استجلاء إيتوس عنترة بن شداد من خلال دراسة الإيتوس القبلي للشاعر ودراسة الإيتوس الخِطَابي له متمثلًا في صورته التي رسمها في شعره. ومن أهم نتائج الدراسة: امتزاج الإيتوس القبلي والخِطَابي في إظهار إيتوس عنترة واعتماده على حجتي: القيم والقوة في التناوب بينها في استجلاء إيتوسه الذي أضحى ذائع الذكر وباقي الأثر.

ودراسة: (تجليات الإيتوس في الشعر الإسلامي القرشي دراسة على ضوء نظرية المساءلة والمعنى لميشيل ماير)، للباحثَين: عبد الباقي الخزرجي وأحمد علاوي، مجلة آداب المستنصرية، مج: ع: ١٠٠، ٢٠٢٢. طبق الباحثان نظرية المساءلة والمعنى لماير للكشف عن الجانب الأخلاقي لمنتج الخطاب الإبداعي في مختارات شعرية. وقسما البحث إلى ثلاثة محاور هي: المحور الوجداني والمحور السلوكي والمحور

المعرفي. ومن أهم نتائج الدراسة: يمثل الإيتوس المنظومة الأخلاقية والثقافية التي يتكئ عليها منتج الخطاب في أداء رسالته.

ويظهر من تلك الدراسات أنَّها كانت إضاءة لفهم شخصية أكثم وأدبه، فلها قيمة في سبر أغوار شخصيته ونتاجه، بيد أنَّها لم تدرسه من جهة صورة الذَّات (Ethos) التفاعلية والحجاجية في الخطاب، وجاءت الدراسات الأخرى كذلك إضاءة لدراسة صورة الذَّات (Ethos) وفهم دلالتها معتمدة على بعض من المدونات الشعرية والنثرية، وهي بصفة عامة دراسات قليلة، وجاءت هذه الدراسة لتجلية مفهوم صورة الذَّات (Ethos) في تطبيقه على شخصية أكثم بن صيفي من خلال خطبته في بني تميم.

منهج البحث وخطته

يسير البحث وفق المنهج الوصفي التحليلي في دراسته لصورة الذَّات في خطبة أكثم بن صيفي في بني تميم في ضوء المقاربة الحجاجية، ويحاول البحث مساءلة مفهوم صورة الذَّات (Ethos) انطلاقًا من ملاحظات (أرسطو) و(مانغيونو) حولها، وفي ضوء ما سبق اقتضت الدراسة أن تشتمل على إطار نظري وعدة محاور وخاتمة، وهي التالي:

_ المقدمة، وفيها أهمية البحث وأسباب اختيار موضوعه وأهدافه وتساؤلاته والدراسات السابقة له ومنهجه وخطته.

_ التمهيد، وفيه بيان لمفهومي: الحجاج وصورة الذَّات (Ethos) بإيجاز، ثم محاور البحث ويتمثل فيها:

_ نص الخطبة وسياقها المقامي، متضمنًا: نص الخطبة والتعريف بقائلها ومناسبتها.

_ ودراسة صورة الذَّات (Ethos) في مقدمة الخطبة وعرضها وخاتمتها، ثم خاتمة البحث وقائمة المراجع.

أولًا: التَّمهيد: الحجاج وصورة الذَّات (Ethos)

تُعدُّ الخطبة من الأجناس التي تُعنى بشكل كبير بالمتلقي وتهتم بإقناعه واستمالته؛ وهي ذات مقصد حجاجي جليّ، ومقام من المقامات التواصلية التي تعقد علاقة بين الخطيب وجمهوره، يروم الخطيب من خلالها بث ما لديه من أفكار ومعتقدات. وتُعدُّ صورة الخطيب بعدًا مهمًّا في الحجاج الخِطَابي، ممَّا يدعو إلى بيان المقصود بمفهومها ومفهوم الحجاج.

١. الحجاج:

يُعدُّ الحجاج من أهم النَّظريات التي تهتم بدراسة الطريقة التي يستخدمها المتكلم للتأثير في المتلقي وإقناعه؛ "ومن هنا كان بحث (أرسطو) عن المسالك المختلفة التي تحقق عمل التَّأثير بالقول، أي: التَّأثير

في إرادة الجماهير"[٤]، فقسم الحجج الصناعية إلى ثلاثة أنواع منها: ما يتعلق بالقائل وأخلاقه وسماه: (Ethos)، والثاني: ما يتعلق بالمتلقي وانفعالاته وميوله وسماه: (Pathos) والثالث: ما يتعلق بالخطاب ووسائله اللُّغوية وسمَّاه: (Logos)[٥]، ويرى (أرسطو) أن تلك الحجج الصناعية يُعدُّها الخطيب ومن شأنَّها الإقناع، وتسمى التصديقات، فالخطابة عنده هي خطابة حجاجية ترمي إلى الإقناع[٦].

وفي البلاغة الجديدة التي تبنت إعادة بلاغة (أرسطو) كان الحجاج حاضرًا، فكان محورًا مهمًّا لديها، وعمدت نظرية الحجاج الجديدة إلى تطويره لتدمجه في مباحث البحث التداولي الحديث [٧]، ويعود الفضل في ذلك إلى (بيرلمان) و(تيتيكا) عبر كتابهما: (مصنف في الحجاج _الخطابة الجديدة) [٨].

بدا الحجاج في المصنف متسمًا بالمعقولية والحرية، وأضحى حوارًا يعقد للتَّسليم برأي الآخر بعيدًا عن اعتباطية الخطابة وإلزام الجدل، كما تخلص الحجاج من التهمة المنسوبة إليه، وهي المغالطة والتلاعب بعواطف الجمهور وعقولهم، وكذلك تخليصه من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب في وضع خضوع واستلاب [٩].

والإقناع في المصنف هو لب وظيفة الحجاج، فالحجاج يتحدد في مجموعة من الأساليب التي توظف في الخطاب لحمل المتلقي على الاقتناع [١٠]، ومن هنا جاء تعريف الحجاج بأنَّه: "درْس تقنيات الخطاب التي من شأنَّها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[١١]، بيد أنَّه لم يُظفر عند (بيرلمان) بتحليل وافٍ لصفات الخطيب/صورة الذَّات [١٢]، فهو قد أهمله نظير اهتمامه بالأساليب والأدوات الحجاجية أو ما يسمى بـ: (Logos).

---

(١) آمال المغامسي، "بلاغة الإيتوس في خطبة منذر بن سعيد البلوطي"، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، (ع.٤٠)، (٢٠٢٤): ٢٥٢.

(٢) ينظر: أرسطوطاليس، "الخطابة الترجمة العربية القديمة":١٠.

(٣) ينظر: المصدر السابق:٩_١٠.

(١) ينظر: إلرود إبش وآخرون، "المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي" ضمن كتاب نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة: محمد العمري، (ط. د، المغرب، إفريقيا الشرق، ١٩٩٦): ١٣٢.

(٢) ينظر: فيليب بروطون، "الحجاج في التواصل"، ترجمة: محمد مشبال وعبد الواحد التهامي، (ط.١، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٣):٢٢.

(٣) ينظر: عبد الله صولة، "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات"، (ط.١، تونس، مسكيلياني للنشر، ٢٠١١):١١_١٢.

(٤) ينظر: المرجع السابق:٢٩٨_٢٩٩.

(٥) عبد الله صولة، "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات": ١٣.

(٦) ينظر: رانية جمال، "الحجاج بالإيتوس في البلاغة الجديدة مخاطبة الأنثى في معلقة عنترة بن شداد نموذجا"، مجلة كلية الآداب، مج :٦٩، ع.٩٧، (٢٠١٩): ٥.

ومع انفتاح اللسانيات على صورة الذَّات في الخطاب أعيد "الاعتبار إلى المتكلم ذاتا تسكن اللُّغة وتترك على أديمها آثارا وبصمات تشهد عليها علامات لغوية كثيرة، وطرائق تعبيرية متنوعة"[١٣]، ومن هنا برزت أهمية الذَّات الخِطَابية باعتبارها مكونًا مهما من مكونات الخطاب وفي تقديم صورة للذات تكون قادرة على إقناع المخاطب ونيل ثقته، ومن هنا أعيدت لصورة الذَّات مكانتها التي عوَّل عليها (أرسطو) بعدِّها أقوى عناصر الحجاج الرامية للإقناع لديه [١٤] وأحد أبرز الآليات التي يعول عليها الخطيب في نجاح خطابه، مما يدعو إلى تجلية معناها.

٢. صورة الذَّات (Ethos):

صورة الذَّات (Ethos) مفهوم يوناني يعني: السلوك أو العادة [١٥]، "ويحاط المفهوم ببعض الغموض لدلالته على أكثر من معنى واستخدامه في أكثر من مجال من جهة، ولتنوع المصطلحات المعبرة عنه نتيجة الترجمات المتعددة من جهة أخرى"[١٦]، ومن أبرز تلك المفاهيم: كونه "شخصية على نحو ما تبرز في اللُّغة"[١٧]، ويدل عند آخرين على الوصف الخُلقي وله عند فريق ثالث معنى الصُّورة ويستخدم أيضًا بمعنى السَّمت [١٨]، ممَّا يعني أنَّه مفهوم متعدد الدَّلالات والأبعاد غير أنَّ ما يهم في هذه الدراسة هو دلالته عند (أرسطو) و(مانغيونو).

فصورة الذَّات (Ethos) عند (أرسطو) هي صورة المتكلم التي تكوَّنت لدى المخاطب؛ نتيجة للأثر الذي يتركه الخطيب في نفسه وهو يتلقى خطابه، وهي من الحجج التي تنشأ من الخطيب بما يتوفر له من حيلة وحذاقة وقدرة على الاستدلال [١٩]، ممَّا يجعل الخطيب المحاج "لا يكتفي بجعل مخاطبة جمهوره متلائمًا معه فحسب، بل يقترح عليه صورة خاصة يدعوه من خلالها إلى التوافق معها والإيمان بها"[٢٠]، وتلك الصُّورة المتحققة للمتكلم تثير تساؤلًا وهو هل تلك الصُّورة تتشكل له وهو يتحدث في خطابه؟ أو أنَّه يضمنها خطابه فتبعث مضامين خطابه الدَّالة على أنَّه صادق وجدير بالثقة؟

---

(٧) حاتم عبيد، "في تحليل الخطاب"، (ط.١، عمان، دار ورد الأردنية للنشر، ٢٠١٣): ٣٦.

(٨) أرسطوطاليس، "الخطابة الترجمة العربية القديمة":١٥.

(١) ينظر: سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، (ط.١، بيروت، دار الكتاب اللبناني، (١٩٨٥):٤١

(٢) عبد العالي قادا، "البعد الحجاجي في الخطاب الروائي: الإيتوس في رواية "بعيدًا من الضوضاء قريبا من السكات" أنموذجًا"، مجلة أبو ليوس، مج:٨، (ع.١)، (٢٠٢١): ٢٧٣.

(٣)توماس سلوان، "موسوعة البلاغة"، تر: نخبة، إشراف وتقديم: عماد عبد اللطيف، (ط.١، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٦م):١/ ٧٩٥.

(٤) ينظر: حاتم عبيد، "في تحليل الخطاب":١١٧.

(٥) ينظر: أرسطوطاليس، "الخطابة الترجمة العربية القديمة":٩.

(٦) علي الشبعان، "الحجاج بين المنوال والمثال نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري"، (ط.١، تونس، مسكيلياني للنشر، ٢٠٠٨): ٢٩.

تنشأ صورة الذَّات (Ethos) عند (أرسطو) بالقول وتُصنع باللُّغة، وهي ما تكون بتضمين الخطيب القول أبعادًا أخلاقية مثل: الأدب والعدل وحسن الخلق... فيكون الحقل المعجمي للقول دالًّا على أنَّ قائله يحمل خلقًا رفيعًا ويتبنى آدابًا سامية، وهناك أيضًا بعدٌ تظهر صورة الخطيب من خلاله وهو حديثه عما يتوافق مع أعراف المجتمع وعاداته، مما يدل على تبنيه ما يدعو إليه، الأمر الذي يرفع منزلته لدى المخاطبين فيحسنون الظن به ويثقون بأقواله [٢١].

وفي كلا البعدين فإن الصُّورة التي تكون للخطيب تتشكل داخل الخطاب وأثناء إنشائه، ولا تتصل بالخطيب كائنًا حقيقيًّا [٢٢]، وعليه فليس بالضرورة أن تطابق أخلاق الخطيب في خطابه واقعه؛ لأنَّ المهم عند (أرسطو) ما يتبناه الخطيب في خطابه فحسب، فهو يتبنى مقولة: ما أدل عليه في خطابي هو ما أريد أن أظهر به بالنسبة للآخر [٢٣].

وقد برزت أهمية الذَّات الخِطَابية باعتبارها مكونًا مهمًّا من مكونات الخطاب عند (مانغيونو) الذي يعد أول من أدخل مفهوم صورة الذَّات (Ethos) إلى حقل تحليل الخطاب [٢٤]، والذي يرى أيضًا أنَّه ينبغي ألَّا يتم التعامل مع صورة الذَّات (Ethos) باعتبارها وسيلة من وسائل البرهنة والإقناع ولكن بوصفها جزءًا من المشهد التلفظي، فهي تحضر بطريقة واعية أو غير واعية في كل أشكال التفاعل حتى لو لم يكن الهدف منها حجاجيًّا [٢٥].

فصورة الذَّات (Ethos) تهدف أيضًا إلى "ترك انطباع حسن لدى المخاطب من خلال الطريقة التي يبني بها الخطاب"[٢٦]؛ ولذا ينسج الخطيب لنفسه صورة متوافقة مع توقعات المخاطب المنتظرة من خلال التوافق والتفاعل الحاصل بينهما [٢٧].

ويرى (مانغيونو) أن تلك الصُّورة للذَّات لا ترسم بالعلامات اللُّغوية فقط، بل من نحت الخطيب ملامحها "من كيفية إلقائه وطبيعة نبرته وطريقة اختياره الكلمات..."[٢٨]، فصورة الذَّات (Ethos) تنتج "عن تفاعل عوامل عديدة منها ما يعود إلى الخطاب نفسه ومنها ما يعود إلى ما هو سابق على الخطاب..."[٢٩].

---

(٧) ينظر: حاتم عبيد، "في تحليل الخطاب": ٩٨.

(٨) ينظر: المرجع السابق: ٩٨_ ٩٩.

(١) ينظر: رولان بارت، البلاغة القديمة، تر: عبد الكريم الشرقاوي، (ط.١، المغرب: مطبعة النجاح الجديدة،١٩٩٤): ١٣٤.

(٢) ينظر: حاتم عبيد، "في تحليل الخطاب":١٢٠.

(٣) ينظر: كمال الزمالي، "الإيتوس المفهوم والتحولات"، *مجلة الآداب واللُّغات والعلوم الإنسانية*، مج:٤، (ع:٩)، (٢٠٢١): ٧٣.

(٤) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(٥) ينظر: رانية جمال، "الحجاج بالإيتوس في البلاغة الجديدة مخاطبة الأنثى في معلقة عنترة بن شداد نموذجا":١٩.

(٦) حاتم عبيد، "في تحليل الخطاب":١٠٠_١٠١.

(٧) كمال الزمالي، "الإيتوس المفهوم والتحولات": ٧٧.

فصورة الذَّات (Ethos) عند (مانغيونو) ليست صورة الذَّات (Ethos) الخِطَابية فحسب بل هناك صورة الذَّات (Ethos) ما قبل الخِطَابية أو صورة الذَّات (Ethos) الجاهزة كما أسمتها (روث أموسي)[٣٠]، وهي الصورة المسبقة التي تكون لدى المخاطبين عن الخطيب[٣١]، ومع إغفال (أرسطو) لهذا النوع من الصورة (Ethos) فإن لها أهميتها في أن معرفة المخاطبين لخصائص المتكلم ووظائفه الاجتماعية لها دور مهم في التَّأثير وفي الحمل على الثقة به وتصديقه [٣٢].

وفكرة صورة الذَّات (Ethos) السابقة تمتد جذورها إلى سقراط، فنجاح الخطاب مرهون بسيرة الخطيب الحسنة، كما أنَّ الخلق الطيب قرينة لإصداره الكلام الجيد [٣٣]، وهو ما أيدته البلاغة اللاتينية التي ترى أنَّه "من أجل أن تكون خطيبًا جيدًا لا بد أن تكون أولا إنسانًا جيدًا"[٣٤].

وأخيرًا، ينبغي الإشارة إلى أن الحديث عن وظيفة صورة الذَّات (Ethos) الخِطَابية لا يمكن أن تكون معزولة عن عناصر: اللوغوس (Logos) والباتوس (Pathos)؛ إذ تتضافر جميعها في تشكيل الخطاب وأبعاده [٣٥]، وفي دورها الحجاجي كذلك؛ ولذلك فإنَّ البحث سيدرس صورة الذَّات بتفاعل تلك الأبعاد جميعًا، كما سيجمع بين صورة الذَّات (Ethos) الخِطَابية والسابقة خلال الجزء التطبيقي كما هي عند (أرسطو) و(مانغيونو).

ثانيًا: نص الخطبة وسياقها المقامي

قال أكثم بن صيفي في بني تميم: "يا بني تميم، لاَ تحْضِرُونِي سفيهاً فإنَّه مَنْ يَسْمَع يَخَلْ، إنَّ السفيه يُوهِنُ مَنْ فوقه ويثبت من دونه، لاَ خير فيمن لاَ عقل له، كبرت سني ودَخَلَتْني ذلة، فإذا رأيتم مني حسناً فاقبلوه، وإن رأيتم مني غير ذلك فقوموني أستقم، إنَّ ابني شَافَهَ هذا الرجل مُشَافهة وأتاني بخبره وكتابه يأمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر، ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاَق، ويدعو إلى توحيد الله تعالى، وخلَع الأوثان، وترك الحلف بالنيران، وقد عَرَف ذوو الرأي منكم أن الفضلَ فيما يدعو إليه، وأن الرأي تركُ ما ينهى عنه، إنَّ أحَقَّ النَّاس بمعونة محمد ﷺ ومساعدته على أمره أنتم، فإن يكن الذي يدعو إليه حقا فهو لكم دون النَّاس، وإن يكن باطلاً كنتم أحَقَّ النَّاس بالكَفِّ عنه وبالسَّتْر عليه، وقد كان أسقفُ نَجْرَان يحدِّث بصفته، وكان سفيان بن مُجَاشع يحدّث به قبله، وسمى ابنه محمدا، فكونوا في أمره أولاً، ولا تكونوا آخرا،

---

(٨) ينظر: محمد مشبال، "في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات"، (ط.١، الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر، ٢٠١٧):١٨٧.

(٩) ينظر: باتريك شارودو ودومينيك منغنو، "معجم تحليل الخطاب":٢٣١.

(١٠) ينظر: كمال الزمالي، "الإيتوس المفهوم والتحولات": ٣٨.

(١) ينظر: أمينة الدهري، "الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة"، (ط. ١، الدار البيضاء، شركة النشر والتوزيع المدارس،٢٠١١): ٩٣.

(٢) دومينيك مانجينو، "مشكلات الحجاج بواسطة الإيتوس من البلاغة إلى تحليل الخطاب" ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب"، ترجمة: حسن المودن، (ط.١، الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر، ٢٠١٦): ٧٦٩.

(٣) ينظر: جورجيانا بوربيا، "الإيتوس أو بناء الهوية في الخطاب"، تر: أحمد الوظيفي، (ط. د، المغرب، *مؤمنون بلا حدود*، (٢٠١٩):٦.

ائتُوا طائعين قبل أن تأتوا كارهين، إنَّ الذي يدعو إليه محمدﷺلو لم يكن ديناً كان في أخلاَق النَّاس حسنًا، أطيعوني واتَّبِعُوا أمري أسأل لكم أشياء لاَ تنزع منكم أبداً، وأصبحتم أعز حي في العرب، وأكثرهم عددًا، وأوسعهم دارًا، فإني أرى أمراً لاَ يجتنبه عزيز إلا ذل، ولا يلزمه ذليل إلا عز، إن الأَوَّل لم يَدَعْ للآخر شيئًا، وهذا أمر له ما بعده، مَنْ سبق إليه غمر المعالي، واقتدى به التالي، والعزيمة حزم، والاَختلاَف عجز فَقَالَ مالك بن نُوَيْرَة: قد خَرِفَ شيخكم، فَقَالَ أكثم :ويل للشجيّ من الخليّ، و ا لهَفْي على أمْرٍ لم أشهده ولم يسعني"(٣٦).

٢. ١ التعريف بالخطيب

تكتسب قيمة الخطاب وفعاليته من السلطة التي يحظى بها المتكلم ومن السمات التي تحدد هويته في وعي المخاطبين [٣٧]، الأمر الذي يثير التساؤل عن قائل الخطبة ومن يكون؟ إن قائل الخطبة هو: أكثم (ت٦ ق. هـ) بن صيفي بن رباح بن الحارث بن مخاشن بن جهور من بني تميم، وأحد معمّريها المشهورين[٣٨].

كان لأكثم بعدٌ وشأنٌ في قومه، فهو خطيبهم، جعله الجاحظ (٢٥٥هـ) رأس الخطباء والمقدم فيهم [٣٩]، وهو أيضًا حكيمهم وصفه ابن عبد ربه (٣٢٨هـ) بحكيم العرب [٤٠]، وظلَّ هذا اللقب ملازمًا له عند أكثر ممن تحدثوا عنه، ووصف أيضًا بأنَّه من قضاة العرب في الجاهلية وأشهر حكامها [٤١].

وأورد الأدباء أن هناك مؤلفات قد كُتبت عن أكثم، أحدها: ما كتبه بشر بن المعتمر(٢١٠هـ)، والآخر: ما كتبه الجلودي (٣٣٢هـ)، وكل هذا ممَّا يدل على تميز شخصية أكثم وبعد شأنه في قومه وأمته، بيد أنَّ هذين الكتابين لم يصلا إلينا[٤٢].

وظهر من سيرة أكثم كما روتها مؤلفات الأدباء أنَّه كان شغوفًا برسم صورة حالمة لمجتمع تعمُّه القيم العليا والأخلاق الحسنة، فحاول جاهدًا في نتاجه كله أن ينشر تلك المبادئ والقيم العليا، داعيًا أيضًا إلى ترك كل المفاسد التي تضر بالمجتمع وتهوي به [٤٣].

---

(١) أحمد الميداني، "مجمع الأمثال"، تح: محمد محي الدين، (ط. د، بيروت، دار المعرفة، ت. د): ٢/ ٣٦٧.

(٢) ينظر: محمد مشبال، "في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات":١٦٩.

(٣) ينظر: أحمد البلاذري، "جمل من أنساب الأشراف"، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، (ط.١، دار الفكر، لبنان، ١٤١٧) :١٣/ ٦٧_٦٨.

(٤) ينظر: عمرو بن بحر الجاحظ، "البيان والتبيين" تح: فوزي عطوي، (ط.١، بيروت، دار صعب، ١٩٦٨): ١/ ١٩٢.

(٥) ينظر: أحمد عبد ربه، "العقد الفريد"، تح: مفيد قميحه، (ط.١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤): ١/ ٨٧.

(٦) ينظر: أحمد اليعقوبي، "تاريخ اليعقوبي"، تحقيق: عبد الأمير مهنا، (ط.١، لبنان، شركة الأعلمي، ١٤٣١هـ) :١/ ٣١١.

(٧) ينظر: كاظم الظواهري، "أكثم بن صيفي ومأثوراته"، (ط.١، دار الصابوني، ١٤١٢): ٧٢.

(٨) ينظر: قاسم القرني، "النَّثر الفني عند أكثم بن صيفي جمعا وتوثيقا ودراسة":١٢١.

إنَّ الأمة العربية من أثرى الأمم في مثلها العليا قولًا وعملًا في العصر الجاهلي، تلك الأمة التي كان أكثم بن صيفي حكيمًا وسيِّدا لهم، وقد دلت آثاره على أنَّ الدنيا لم تكن تهمه في شيء، فاتجه إليه أشراف العرب يطلبون منه المشورة ويسألونه النصح فلم يألهم نصحًا، ولم يخيبهم أو يقصر معهم في شيء من بغيتهم(٤٤)، ومن هنا كان لأكثم صورة خاصّة له في أمته فهو الحكيم والخطيب والقاضي والمستشار الأمين في البيئة العربية.

وتشير الأخبار إلى أنَّه أدرك الإسلام، وأنَّه تلقاه تلقيًّا حسنًا، وقد راسل النَّبي ﷺ ودعا قومه إلى اتباعه، وهاجر إلى النَّبي ﷺ بيد أنَّه توفي في طريقه إليه(٤٥)، وهناك من يشكك في إسلامه؛ لعدم التقائه بالنَّبي ﷺ(٤٦)، والذي يظهر للمتأمل أنَّ إسلامه لا يشترط فيه مقابلة النَّبي ﷺ، كما أنَّ أكثم قد تلقى الإسلام تلقيًّا حسنًا مما يتناسب مع عقله وحكمته، ونيته الصادقة في الدخول في الإسلام، فليس من المهم أن يكون خرج مهاجرًا أو لم يخرج، فالوفاة هي التي حالت بينه وبين تحقق ذلك(٤٧)، وتكفي خطبته في بني تميم التي دعاهم فيها إلى الإسلام وكانت من آخر الخطب التي قالها قبل وفاته(٤٨).

٢,٢ مناسبة الخطبة:

بعد ظهور دعوة النَّبي ﷺ في مكة كان أكثم ممن بلغه أمر هذه الدَّعوة، وما تدعو إليه من الإيمان بالله تعالى ونبذ الوثنية، فما كان من أكثم إلا أن أرسل ابنه حُبيشًا إلى النَّبي ﷺ يسأله عن شأنها(٤٩)، ومن هنا أصبح لأمر الدَّعوة شأنٌ كبير في فكر أكثم، فقام خطيبًا في قومه (بني تميم) يدعوهم إلى قبولها والانضواء تحت لوائها.

ثالثًا: بناء صورة الذَّات في الخطبة

قبل البدء بتحليل الخطبة لابد من الإشارة إلى مقام الإبلاغ، فالخطبة من الخطب المهمة التي قالها أكثم في أواخر عمره، وتقع ضمن الخطبة المشورية التي غايتها "بيان النافع والضار والتوصية باتباع أقوم المسالك"(٥٠).

---

(١) ينظر: كاظم الظواهري، "أكثم بن صيفي ومأثوراته": ١٣.

(٢) ينظر: أحمد العسقلاني، "الإصابة في تمييز الصَّحابة"، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي محمد، (ط.١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ): ١/ ٣٥١.

(٣) ينظر: يوسف بن عبد البر، "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، تحقيق: علي البجاوي، (ط.١، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٠): ١/ ١٤٥_١٤٧.

(٤) ينظر: كاظم الظواهري، "أكثم بن صيفي ومأثوراته":٤٣.

(٥) ينظر: أحمد العسقلاني، "الإصابة في تمييز الصَّحابة":١/ ٣٥١.

(٦) ينظر: أحمد الميداني، "مجمع الأمثال":٢/ ٣٦٧.

(٧) عبد الله صولة، "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات":٧٣.

ويبدو من تأمل دلالات الخطبة أنَّ أكثم كان لديه هدف كبير من خطبته وهو إقناع المخاطبين بما يؤمن به وبما يراه أنَّه الحق، ففحوى الخطبة وهاجسها هو "إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي"[٥١] للمخاطبين؛ ولأجل تحقيق هذا الهدف فقد اعتمد أكثم على استراتيجية الإقناع؛ التي ترمي إلى تحقيق أهداف المرسل النفعية [٥٢]، وتحقيق قبول المخاطب للمضامين التي يطرحها الخطاب ودفعه إلى العمل بها [٥٣]؛ ولذلك فخطبته كانت مقصودة لمخاطبين محددين؛ لأنَّه ليس كل من يستمع إلى الخطيب مخاطبًا، فالذي يحسم ذلك قصد الخطيب [٥٤].

إنَّ ما يصبو إليه أكثم من خطبته هو انقياد قومه للإسلام وإيمانهم بالنَّبي ﷺ. ويظهر للمتأمل في الخطبة أنَّها تضمنت عدة شخصيات، وأنَّ لكل شخصية صورة خاصًّا بها، وسنعقد الحديث عن بناء صورة الذَّات (Ethos) وفق ورودها في أقسام الخطبة، وهي: المقدمة والعرض والخاتمة.

٣. ١ بناء صورة الذَّات في المقدمة

تشير المقدمة إلى العلاقة الوثيقة التي تجمع الخطيب بالمخاطبين، والتي تمثلت في قول أكثم: "**لا تحضروني**" فالمتلقي هنا يدرك أنَّ هناك علاقة ما بين الخطيب والمخاطبين، ممَّا يدل على صورة الذَّات (Ethos) القبلية للخطيب.

ففي الجملة "**لا تحضروني**" بيان لصورة أكثم القبلية، وتوكيدٌ لأهليته بالحديث إلى النَّاس، فهو خطيبهم وحكيمهم، الذي عُرف عنه الحكمة وتعزيز القيم، مما يوحي بعلمه بما يوجههم إليه، مما مكَّنه ذلك من اعتلاء منبر الخطابة، واستشراف مستقبل قومه.

إنَّ الذوات المتحدثة التي تسعى إلى تحفيز الآخر نحو الفعل أو القول تحرص على التَّأثير الذي تبعثه خطاباتها أكثر من حرصها على دقة استدلالها [٥٥]؛ فالخطباء يدركون أهمية الصُّورة الأخلاقية للخطيب في تحقيق مصداقية الخطاب وتدعيم قوته الإقناعية؛ ولذلك فهم يعمدون إلى استثمارها في خطاباتهم [٥٦].

---

(٨) هنريش بليت، "البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص"، ترجمة: محمد العمري، (ط.١، الدار البيضاء، دراسات سال، ١٩٨٩م) :٦٤.

(١) ينظر: عبد الهادي الشهري، "إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية"، (ط.١، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤ م): ٤٤٤ _ ٤٤٥.

(٢) ينظر: محمد الأمين، "مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة"، *عالم الفكر*، مج: ٢٨، ع:٣، (٢٠٠٠): ٦٧.

(٣) ينظر: إلرود إبش وآخرون، (١٩٩٦). "المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي" ضمن كتاب نظرية الأدب في القرن العشرين:١٣٣.

(٤) ينظر: باتريك شارودو، "حول الإقناع في الخطاب السياسي"، تر: محمد الولي، *مجلة البلاغة وتحليل الخطاب*، ع:٦، (٢٠١٥): ٨٥.

(٥) ينظر: محمد مشبال، "في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات": ٢٣٣.

وقد وظف أكثم صورته الخِطَابية في استحضار علاقته المتينة بالمخاطبين (بني تميم) فبدأ خطبته بندائهم "**يا بني تميم**" بأسلوب لطيف ينبئ عن تواضعه، فهو ليس الخطيب الحكيم بل هو من بني تميم، ممَّا يوحي بأنَّ ما سيقوله سيلحقه كما سيلحقهم.

وهدف الإقناع الذي يرمي إليه أكثم من خطبته كان لأجل المخاطبين وفلاحهم، فلم يكُن يصبو إلى هدف دنيويّ أو مغنم مادي من خطبته، ولا سيّما وقد كبرت سنه وشارف على النهاية. إنَّ سمو الهدف لدى أكثم قد ظهر من عباراته الأولى في خطبته؛ لأنَّه "بمجرد أن نتكلم يتجلى جزء من وجودنا عبر ما نقوله"[٥٧]، وأكثم يقول: "**يا بني تميم**" مخاطبًا إياهم باسم جدهم جميعًا، الأمر الذي ينبئ عن عاطفة انتمائه وقربه من قومه، مما يدل على صورة الانتماء والهوية لديه، فهو عربيٌّ تميميٌّ مهتم بعلو قومه ورفعته.

وهدف أكثم من استمالة المخاطبين في بداية الخطبة يوحي بهدفه العميق، وهو كشف صورة النَّبي ﷺ ودعوته الجديدة؛ ولذلك فهو يحاول في ابتداء خطبته أن يرسم صورة إيجابية عن ذاته في مقابل إعلاء صورة النَّبي ﷺ لدى المخاطبين وتشكيل صورته المتفردة على مستوى البشرية.

تمثلت مقدمة الخطبة في قول أكثم: "**يا بني تميم، لاَ تحْضرُونِي سفيهاً... وإن رأيتم مني غير ذلك فقوموني أستقم**".

تتضمن المقدمة مسلَّمة من المسلمات يتفق عليها الخطيب وبنو تميم، وهو أنَّه لم يعهد عن أكثم السفه والسفه هو "الخفة، ومعنى السفيه: الخفيف العقل"[٥٨]، ويبين أكثم عن طريق النفي المتقدم على الفعل "**لا تحضروني**" أنَّه ليس سفيهًا وقومه يعلمون ذلك، بل يعلمون أنَّ لديه سلطة الحكمة والمعرفة.

إنَّ جملة النَّفي الآنفة تحمل الدَّلالة على أنَّ أكثم سيحدِّثهم في أمر جلل وغير معتاد بالنسبة إليهم والدَّلالة كذلك على ثقل المضامين التي سيسوقها إليهم، وعلى عظم ما ستؤول به؛ فالنَّفي لا يكون في الكلام إلا إذا كان الأمر متعلقًا بمواجهة الآخر، ومدار الأمر بينهم يقوم على الحجاج [٥٩]، فما سيقوله أكثم لهم فيه إثارة فكر ومجال أخذ وردّ بينهم.

كما إن السياق الحجاجي يفرض أحيانًا على المتكلم أن يتحدث عن ذاته أو يثني عليها ويجلِّي سماتها [٦٠]؛ ليكون أساسًا متينًا في بناء المضامين الموجهة إلى المخاطبين؛ فالخطيب يرمي إلى إعادة تكوين صورته الخطابية في أذهان المخاطبين؛ تذكيرًا لهم بها؛ لتكون تمهيدًا لما سيقول.

---

(١) المرجع السابق:١٧٤.

(٢) محمد، منظور، "لسان العرب"، (ط.١، بيروت، دار صادر، ١٣٠٠هـ): مادة: "سفه".

(٣) ينظر: عبد الله صولة، "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات": ٣٧.

(٤) ينظر: محمد مشبال، "في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات" :١٨٠.

وتحمل عبارات أكثم: "**كبرت سني**" و"**دخلتني ذلة**" الدَّلالة على سعي أكثم لجلب عاطفة المخاطبين وتحقيق تآزرهم معه؛ إذ لا يمكنه أن ينفذ إلى عقولهم دون كسب عواطفهم، كما إنَّ تحديده لعامل السن فيه دلالة على وعيه بذاته واستشعاره حقيقة حاله، وإعلام المخاطبين بذلك مما يوحي للمخاطب أنَّ ما سيقوله هو محل تقدير وإجلال منهم أو أنَّه ينبغي أن يكون كذلك.

إنَّ من وسائل الخطيب المتمكّن في تقديم صورته الخطابية مخاطبة العواطف واستثارتها، فهذا ممَّا يحث المخاطب على التحرك في هذا الاتجاه أو ذاك وهو يتلقى الخطاب ممَّا يحصره في محيط انفعالي يُخضِعه للمتكلم [٦١]، ويوجهه وجهة محددة، فانفعالات المخاطبين الآن تركزت حول أكثم بماضيه وحاضره، فأصبح هو بؤرة شعورهم، ومحور أفئدتهم، وهذا مما يؤكد أنَّ "الخطابة صناعة قيادة الأهواء قبل أن تكون صناعة تعبير"[٦٢]، وهذا ما فعله أكثم.

وترى (روث أموسي) أنَّ الخطيب لا يمكنه أن يحدِّث ويتجلى بوصفه ذاتًا إلا في علاقته مع الآخر[٦٣]، فما يتحدث عنه الخطيب في خطبته لابد أن يكون له علاقة وثيقة بالمخاطب، وهو ما كان بين أكثم وقومه، فعقيدة قومه وفكرهم هما محور خطبته، وهذا ما دعاه إلى استثارة عواطفهم ابتداءً؛ لأنَّ تغيير العقائد أو بنائها يحتاج إلى بناء عميق في النفس.

واستثارة العواطف لها أهميتها في اقتناع المخاطب بمضامين الخطاب؛ ولذلك من المهم أن تحضر تلك العاطفة في صورة الخطيب في خطبته؛ لأنَّ "أفراد الجمهور يقتنعون بالعواطف التي تشبه عواطفهم"[٦٤]ويتأثرون ويستجيبون لمن يملك مشاعرهم أولًا.

إنَّ تحديد أكثم لهذه الرؤية المشتركة بينه وبين المخاطبين في بداية الخطبة، _ حكمة أكثم وسداده في القول وقربه منهم_ فيه دلالة على تمرسه في صناعة القول وعلى عظم تجربته فيه، وفيه أيضًا تعزيزٌ لقبول المخاطب حجج الخطيب أو إمكانية مناقشتها أو تفنيدها [٦٥].

ويدل قول أكثم لمخاطبيه: "**فإذا رأيتم مني حسناً فاقبلوه، وإن رأيتم مني غير ذلك فقوموني أستقم**" على مرونته معهم، والمخاطبون يميلون إلى من يخاطبهم بقرب؛ لأن فيه كسرًا للحواجز بينهم، وهدمًا لفكرة العلو الشائعة في حق الخطيب، وفي مقولة أكثم الآنفة تحقيق للموازنة بين ثقل أكثم ومكانته في عقولهم وقربه منهم الآن، ومن هنا تحققت الكفاية التواصلية بين أكثم ومخاطبيه، وهذا ما يريده أكثم ويتعمد حضوره؛

---

(١) ينظر: باتريك شارودو، "الحجاج وإشكال التَّأثير"، ترجمة: ربيعة العربي، ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي، (ط.١، الأردن، دار ورد الأردنية للنشر، ٢٠١١) :٢٩٤.

(٢) حاتم عبيد، "الباطوس من الخطابة إلى تحليل الخطاب"، فصول، (ع. ٧٠)، (٢٠٠٧): ٣٩.

(٣) ينظر: علي الشبعان، "الحجاج بين المنوال والمثال نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري": ٢٩.

(٤) توماس سلوان، "موسوعة البلاغة":١/ ٨٠٣.

(٥) ينظر: عبد الهادي الشهري، "إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية":٤٦٦.

لأنَّ ما يدعو إليه كبير بالنسبة إلى المخاطبين وبالنسبة إليه أيضًا، فالكلام في العقائد وما يدين به الإنسان مما يثقل على الخطباء خوض غماره.

إنَّ الكفاية التواصلية بين الخطيب والمخاطب لها أثر كبير في التَّأثير، إنَّها الانطباع الذي يمنحه الخطيب عن ذاته من خلال أقواله؛ فأكثم بعبارته الآنفة قد ترك مساحة لمشاعر المخاطبين أن تحضر، ولذواتهم أن تظهر، فلهم رأيهم وفكرهم الذي له مكانته عند أكثم؛ ولذلك لا ضير إن رأوا ما يخالفهم أو لا يرضيهم في أكثم أن يقوّمُوه، وأكثم لم يعطهم هذا الخيار إلا أنَّه يعلم عنهم الميل إلى الحق والامتثال إلى القيم العليا.

إنَّ في دعوة الانفتاح تلك التي أثارها أكثم مما يزيد الخطبة توهجًا ورحابة وأنسًا بين الخطيب وجمهوره؛ وهنا يبرز ارتباط الحجاج بالأهواء؛ "فالحجاج يختلف عن المنطق الشكلي في أنَّه يجري في فضاء تشكِّله ذوات متفاعلة اجتماعيًّا ونفسيًّا...إنَّه يتوجه إلى سامع مخصوص في سياق مخصوص"[٦٦] ممَّا يجعل المخاطب يشعر بالأهمية والإجلال، فيسهل اقتناعه بما يقال له.

٣. ٢ بناء صورة الذَّات (Ethos) **في عرض الخطبة:**

يبدأ العرض في الخطبة بقول أكثم: "**إنَّ ابني شَافَهَ هذا الرجل مُشَافهة... والاختلاف عجز**" يظهر التداول الحجاجي بين أطراف الخطاب ضمن إطار الثوابت كالثوابت: الدينية والمعرفية، فهي مسلَّمات يجب احترامها فيما بينهم؛ ولذلك فليس كل موضوع صالحًا لتصدره في مقام خطابي[٦٧]؛ مما يثير تساؤلًا هنا وهو هل كان المخاطبون في خطبة أكثم مستعدين لتغيير ديني أو عقدي؟

الذي يظهر من تأمل مقام الخطبة أنَّ المخاطبين كانوا يتجمهرون حول أكثم ويصغون إلى ما يحدِّثهم عنه، فهو قد بدأ خطبته ثم عرضها واسترسل فلم يُسمع من أحدهم سؤال أو اعتراض، كما أنَّ موضوع الخطبة يدور حول أمر عقدي له قدسيته وجلاله في النفس، وإنصاتهم إليه فيه دلالة كبرى على أنَّهم يستشرفون لمثل ذلك القول ويتطلعون إليه؛ فالخطاب الحجاجي لا بد أن يتلاءم مع المخاطب الذي يروم الخطيب إقناعه؛ إذ لا يمكن أن يتطور الحجاج إلا انطلاقًا مما يقبله ذلك المخاطب[٦٨] ؛ ولذلك فأكثم لم يحدِّثهم بموضوع الخطبة دون موافقة ضمنية منهم.

---

(١) محمد مشبال، "في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات":١٩٥.

(٢) ينظر: عبد الهادي الشهري، "إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية": ٤٦٥.

(٣) ينظر: فايزة عالم وعبد الحليم بن عيسى، "مقومات فعل التَّأثير والاقناع في العملية الحجاجية"، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، مج: ٩، ع.١، (٢٠٢٠): ٣٦١.

كما وُصِف المخاطبون برجاحة العقل وإدراك الصواب فيما يتعلق بعقيدتهم وفكرهم "**وقد عَرَف ذوو الرأي منكم أن الفضل فيما يدعو إليه...**"، مما يمهد لحجاجهم وإقناعهم؛ فالحجاج "يصاغ لجمهورٍ معيَّن يعرف الخطيب مسبقًا الخصائص الكبرى لآفاق انتظار أفراده"(٦٩).

وتظهر صورة الذَّات (Ethos) في عرض الخطبة من خلال حركة التفاعل التي يجلِّيها أكثم في عباراته وهو يستحضر المخاطبين كما يظهر من مجموعة من الآليات التي استعان بها الخطيب في حجاجه، ويمكن الحديث عن تلك الآليات بالآتي:

٣. ٢. ١ الحجاج بالربط بين الشخص وأعماله:

من الحجج التي تظهر فيها صورة الذَّات (Ethos) الربط بين الشخص وأعماله، ف "الأعمال تجلو جوهر الشَّخص وتفسره"(٧٠) سواء أكان الشَّخص الخطيب أم المدعو له. إنَّ أكثم كان حريصًا على قومه وأهله، وكل ما يكفل أمنهم وكرامتهم؛ ومما يدل على ذلك أنَّه لما سمع بدعوة النَّبي ﷺ أرسل ابنه إليه ليستكشف أمره، وظهر له أنَّه الحق، فآمن به، وما برح أن حدَّثهم بكل ما تبيَّن له! وكان من الممكن لأكثم أن يكتفي بنفسه، وأن يخوض استكشاف تفاصيل الدين وشرائعه بمفرده، إلا أنَّ نفسه الكبيرة أبت ذلك.

وفي إرسال أكثم ابنه إلى النَّبي ﷺ دلالةٌ على صورة الرجل الحريص والطموح إلى معرفة الحقائق والسعي إلى إدراكها، فلم يتشبث أكثم بما يؤمن به وبما يعتقده وقد بلغ من العمر مبلغه، بل آثر الحق في ذاته، مهما كان منبعه وطريقه، وهذه هي الحكمة.

ويعد إرسال أكثم ابنه إلى النَّبي ﷺ من قبيل الحجج الاتصالية المؤسسة على بنية الواقع عند (بيرلمان)؛ إذ "تستخدم أعمال شخص أو مجموعة أشخاص أو أحكامهم حجة على صحة أطروحة ما"(٧١)، وهذا ما جاء في قول أكثم: "**إن ابني شافه هذا الرجل مشافهةً، وأتاني بخبره**"، فهنا تظهر دلالة إرسال أكثم ابنه إلى النَّبي ﷺ والالتقاء به، مما لا يدع مجالًا إلى تكذيبه فيما يقول.

كما أن من حجج الربط بين الشخص وأعماله ما جاء في قول أكثم عن النَّبي ﷺ: "**وكتابه يأمر فيه بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق، ويدعو إلى توحيد الله تعالى...**" يظهر هنا صورة الذَّات (Ethos) المتعلقة بالنَّبي ﷺ، فهو يتصف بعبوديته لله تعالى وتوحيده ونبذ الوثنية ومظاهرها والدَّعوة إلى معالي الأخلاق وأسماها؛ لأنَّ كتابه العزيز يأمره بذلك.

وحديث أكثم عن النَّبيﷺ وصفاته وأعماله فيه إظهارٌ لصورة أكثم أيضًا وحقيقة اعتقاده، فهو يؤمن بالنَّبيﷺ وبما يدعو إليه، فالخطباء لا يدعون إلا لما يؤمنون به وما يعتقدون صحته؛ ففي كل قول يُفترض

---

(٤) محمد الأمين، "الحجاج في البلاغة المعاصرة"، (ط.١، لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٨): ٥٣.

(٥) عبد الله صولة، "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات":٥١.

(١) المرجع السابق: ٥٢.

قول الحقيقة فيه ويُفترض أيضًا أنَّ المتكلم يقول ما يعتقده ويؤمن به[٧٢]، كما إنَّ صورة المتكلم ستصل إلى المخاطب من مضامين خطابه والمواقف التي يتحدث عنها؛ فذلك ممَّا يحرك توقعاته ويهديه إلى هوية الخطيب، ولو كان المخاطب لا يعلم بشكل مسبق عن صورة المتكلم[٧٣]، فصورة الذَّات (Ethos) الخِطَابية تدل على صورة الذَّات (Ethos) السابقة.

فالمقولة الآنفة لأكثم "**وكتابه يأمر فيه بالمعروف...**" تنبئ عن تغير في اعتقاد أكثم يريد أن ينقله إلى من يخاطبهم، فأكثم قبل دعوة النَّبي ﷺ ليس هو أكثم بعدها، وهذا ممَّا قد لا يعلمه المخاطبون قبل الخطبة، ومن هنا فالخطبة كشفت عن صورة جديدة لأكثم.

وأكثم لم يُظهر صورته الجديدة بشكل صريح، ف صورة الذَّات (Ethos) تظهر أحيانًا داخل فعل التلفظ ولا تقال في الملفوظ، فيُعبَّر عنها بطريقة ضمنية تجعل المخاطب يتوصل بنفسه إلى اكتشاف صفات الخطيب[٧٤]، فالذي أحدثه أكثم لدى المخاطبين الانطباع بأنَّه مسلم وبأنَّه يرتضي دعوة النَّبي ﷺ. إنَّ التصريح بالمعتقدات أو الأفكار قد يكون فيه نفوذ وشدة وقع على المخاطبين، والمخاطبون بصفة عامة لا يميلون إلى مثل ذلك، فهم يمنحون ثقتهم لمن يعطيهم انطباعًا أنَّهم متواضعون _ على سبيل المثال_ أكثر ممن يسردون عليهم صفاتهم الفكرية أو الخلقية [٧٥].

٣. ٢ .٢ الحجاج بالقيم:

إنَّ خطاب أكثم في خطبته خطاب قيمي، والقيم هي مجموعة "المبادئ والقواعد والمثل العليا التي يؤمن بها النَّاس... ويتخذون منها ميزانًا يزنون به أعمالهم"[٧٦]، وهي أيضًا معايير تحكم سلوك المجتمع وتوجه أفراده، والقيمة الكبرى التي دعا إليها أكثم في خطبته هي قيمة توحيد الله تعالى والإيمان بدعوة نبيه الكريم ﷺ، فهي تتمحور حول تغيير معتقد المخاطبين أو بنائه.

ودعوة أكثم إلى تلك القيمة فيها دلالةٌ على أنَّه رجلٌ له قيمه ومبادئه التي يؤمن بها، كما فيها دلالة أيضًا على صورة: الخطيب الداعي إلى القيم والمثل العليا، إنَّ ما دعا إليها أكثم من القيم الأخلاقية التي دعا لها النَّبي ﷺ "لها حجة مجتمعية؛ لارتباطها بالشَّرائع والأديان والعادات والأعراف"[٧٧]، ومن هنا كان

---

(٢) ينظر: باتريك شارودو، "الحجاج بين مقاصد التَّأثير لوضعية التواصل"، تر: كمال الزماني، المجلة العربية لعلم الترجمة، مج: ٣، ع. ٦، (٢٠٢٤): ١٧٢.

(٣) ينظر: كمال الزمالي، "الإيتوس المفهوم والتحولات": ٧٨.

(١) ينظر: المرجع السابق:٨١.

(٢) ينظر: المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(٣) سيد أحمد، "القيم التربوية في قصص القران"، (ط.١، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٦): ٢٩٤.

(٤) عبد الباقي بدر وأحمد سميسم، "تجليَّات الإيتوس في الشعر الإسلامي القُرشي دراسة على ضوء نظرية المُساءلة والمعنى لـ(ميشيل ماير)"، مجلة آداب المستنصرية، ع.١٠٠، (٢٠٢٢): ٢.

الحجاج بالقيم وسيلة لقبول دعوته ﷺ، "إنَّ استدعاء القيم يشكّل في حد ذاته حجة، فهو يؤطر الواقع بقوة إذ تملك القيم ...قوة حث نافذة"(٧٨).

إنَّ تحديد أكثم للبعد الخلقي من الدّين الجديد فيه دلالة على أهمية ذلك البعد وعظيم أثره في إقناع المخاطب؛ فأكثم قد تجاوز شعائر الدّين وفرائضه إليه؛ لأنَّه الجوهر في إقناع البشر، فهم لن يسمعوا ولن يستجيبوا لعديم الأخلاق، ولو كان الأمر الذي يدعو إليه جليلًا وعظيمًا في ذاته، فالنَّاس يتأثرون ويميلون إلى الخُلق أكثر من أي شيء آخر، إنَّهم يؤمنون بالنَّاس الصَّادقين العادلين إلى حد كبير (٧٩).

٣. ٢ .٣ الحجاج بالأدوات اللُّغوية

تبنى صورة الذَّات (Ethos) في الخطاب بما فيه من أدوات لغوية بأبعادها البلاغية والأسلوبية، يمكنها أن تشكّل أحيانا أدوات مباشرة في بناء صورة الذَّات (Ethos)(٨٠). إنَّ استكناه البعد اللُّغوي في الخطاب له أهميته في دراسة صورة الذَّات (Ethos) ومظاهرها التي تصنعها؛ لأنَّ تلك الأبعاد لا تدرس منفصلة عن أهدافها الحجاجية (٨١). وقد بنى أكثم صورته اللغوية وفقًا لتصورات كوَّنها عن المخاطب بما يناسب المقام، وبما يتناسب مع آماله وطموحاته.

ومن الأدوات اللُّغوية المظهرة لطريقته الحجاجية: استخدامه الوصل السببي، وهو ربط الخطيب بين أحداث متتابعة: كالرَّبط بين المقدمة والنتيجة أو التَّراكيب الشَّرطية(٨٢)، ويتمثل الشَّرط في قول أكثم : "**فإن يكن الذي يدعو إليه حقًّا؛ فهو لكم**"، "**وإن يكن باطلًا كنتم أحق النَّاس بالكف عنه**"، جاء الشَّرط أداة لبيان المضامين أمام المخاطبين، وإثارة لفكرهم تجاه الدعوة بالنظر إليها إما كونها دعوة حق أو دعوة باطل، ومن هنا كان الشَّرط أداة لتجلية اعتقاد كامن في ذوات المخاطبين، وهنا تكمن أهميته؛ لأنَّ الصُّورة البلاغية ومنها الشَّرط تكون ذات قيمة حجاجية كبرى إذا أحدثت تغييرًا في الرؤية(٨٣)، كما تكمن أهميته في أنَّ المخاطب سيختار طريق الحق؛ لأنَّ اسمه يجبره على ذلك، وهنا تكمن حكمة أكثم فهو يدرك أنَّ المخاطب إن اختار الحق طريقًا (الإيمان بالنبي ﷺ) فلن يضل أبدًا، فهو يقنع بأمور يقينية بالنسبة إليه.

كما ظهرت صورة أكثم اللُّغوية باستخدامه الأفعال اللُّغوية والتضاد والمقابلة كما في قوله: "**فكونوا في أمره أولًا، ولا تكونوا آخرًا**"، وقوله: "**ائتوا طائعين قبل أن تأتوا كارهين**" وقوله: "**أطيعوني واتبعوا أمري**" إن

---

(٥) فيليب بروطون، "الحجاج في التواصل": ٩١.

(٦) ينظر: توماس سلوان، "موسوعة البلاغة": ١/٨٠٠_٨٠١.

(٧) ينظر: محمد مشبال، "في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات":١٨٧_ ١٨٨.

(١) ينظر: عبد الله صولة، "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات": ٣٣_٣٤.

(٢) ينظر: عبد الهادي الشهري، "إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية": ٤٨٠_ ٤٨١.

(٣) ينظر: المرجع السابق:٤٩٩.

أكثم بأسلوبه الآنف يختصر قصة حياة وحدثًا قد ظهر؛ فقومه لابد أن يكون لهم موقفٌ تجاه دعوة النَّبي ﷺ فإما أن يكونوا من فئة المؤمنين أو فئة المعرضين.

وأكثم يريد منهم في قرارة نفسه القبول والإيمان؛ لأنَّه الموقف الأجدر بالاتباع والأعظم في المآل، لكنَّه لم يخبرهم بذلك، وإنَّما حاجَّ لأجله من طرف خفي. إنَّ المقام يحتاج إلى مثل تلك الأفعال ويحتاجها أيضًا المخاطب ليدرك أهمية ما يقال له ويستشعر دلالته، فيتخذ موقفه ورأيه.

واعتمد أكثم كذلك في حجاجه على آلية المثل في توكيد ما يدعو إليه، كما في قوله: "**والعزيمة حزم، والاختلاف عجز**"، فهذه عبارات تجري مجرى المثل، والمثل بعدٌ حجاجيٌّ يؤسس للفكرة ويبرهن على صحتها [٨٤]، فإيمان قومه يتطلب منهم العزم وقوة الإرادة، وهكذا هو تغيير العقائد أو بنائها يحتاج إلى قوة داخلية، والاختلاف حول الدَّعوة ليس في محله، فقد أضحت واقعًا ماثلًا لا مجال فيه للشك أو الرفض.

ويظهر من تأمل صورة أكثم اللُّغوية أنَّ لغته كانت "لغة واقعية بعيدة عن استعمال الوسائل الخيالية أو الحسية البعيدة أو المعقدة في التَّصوير والبيان، وتركزت بلاغتها في سهولتها وإيجازها"[٨٥]، وكان الهدف الأجلَّ منها هو الإقناع.

٣. ٢. ٤ الحجاج بالثواب والعقاب

إن قول أكثم: "**أسأل لكم أشياء لا تنزع منكم أبدًا**" ينبئ عن يقينه بأن النَّبي ﷺ حق وأنَّ ما جاء به هو الحق، ومن هنا فإنَّ حكمة أكثم قادته إلى اليقين بأن الانزواء وعدم المبالاة بأمر الدَّعوة لن يجدي نفعًا أمام نبي قد بعث وبشارة رهبان قد تحققت، فلا سبيل لهم إلا اللحاق به؛ ومن هنا كانت أفكار أكثم الجازمة، وهي إنَّ قومه لو آمنوا واتبعوا النَّبي الكريم فسيفلحون وسيظهرون ولن يكون لهم شيءٌ آخر غير ذلك.

وخاطب أكثم مخاطبيه بنبرة حانية، فمضامين فكره تبثها عباراته، فإيمانهم بالدَّعوة الجديدة لم يكن لجدتها أو لشخص محمد ﷺ أو لرفعة قومه ﷺ، بل لأجلهم هم فحسب، فالرفعة تأتي بالإيمان بالله تعالى وبنبيه المرسل، وهذا ما يريده النَّبي ﷺ أيضًا منهم فهو ليس إلاَّ داعيًا إلى دين الله الذي يسع النَّاس جميعًا، ومن هنا جاءت عبارات العزة التي بثَّها أفعل التفضيل في عبارات أكثم، فهم إن آمنوا سيكون حالهم كما في العبارات: "**وأصبحتم أعز حي في العرب، وأكثرهم عددًا، وأوسعهم دارًا**"، وكذلك عبارات "**من سبق إليه غمر المعالي، واقتدى به التالي**"، إنَّ الإيمان بالنَّبي ﷺ موقف حياة وليس شيئًا عابرًا، هكذا يرى أكثم.

ويتجلى في قول أكثم: "**فإني أرى أمرًا لا يجتنبه عزيز إلا ذل، ولا يلزمه ذليل إلا عز**" الحجاج بالثواب والعقاب معًا، فالعزيز إذا أبى الدَّعوة سيذل والذليل الذي يقبلها سيعز، مستخدمًا التوكيد في الاستثناء، وكل هذا ممَّا يدل على قوة إحكام أسلوب أكثم في حجاجه النَّابع من قوة يقينه بما يدعو إليه، تجلِّيه عبارة: "**فإني**

---

(٤) ينظر: عبد الله صولة، "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات":٥٥.

(٥) كاظم الظواهري، "أكثم بن صيفي ومأثوراته": ٦٢.

أرى أمرًا" فهي عبارة موقن لا شاكٍ أو مستكشف وكذلك يدل على إحساسه بعظم المسؤولية في تبليغه وحبه الكبير لمن يبلِّغهم.

٣. ٢. ٥ الحجاج بالأسلوب

ظهر أكثم في حجاجه الخطابي بصورة الخطيب المقنع وليس المجادل أو المرغِم، فهو يريد منهم الاقتناع بالنَّبي ﷺ وبدعوته؛ لأنَّ هاجسه الأعظم كان إيمانهم وغاية أمله اتباعهم النبي ﷺ بيد أنَّه مع ذلك أراد أن تكون الكلمة كلمتهم والقرار قرارهم؛ لأنَّه يعلم يقينًا أنَّ الإيمان بشيء ما وتصديقه لا يكون إلا بيقين يقع في قلب المؤمن بصحة المعتقد الذي يؤمن به، ومن هنا فلا مجال في فكر أكثم الحكيم على الإرغام أو الإكراه.

إن الخطيب المفوه عندما يطالب غيره بمشاركته اعتقاداته فإنَّ مطالبته لا تكتسي سمة الإكراه، وإنَّما تتبع في تحصيل غرضها سبلًا متنوعة تدفع المخاطب إلى الاقتناع برأي الخطيب، وقد تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع، فتكون إذ ذاك أقدر على التَّأثير في اعتقاد المخاطب [٨٦].

إنَّ أسلوب أكثم في إقناعه جعل المتلقي يتصور أنَّ المقام لم يكن مقام خطبة بخطيبها بنبرة صوته وعلُّوها وبجمهورها بسكونهم وصمتهم، وإنَّما مقام متحاورين يتجاذبون أطراف الحديث بكل أريحية، فالحجاج الخطابي فضاء اتفاق بين الخطيب وجمهوره [٨٧].

وقد وضح أكثم في خطبته صدق النَّبي ﷺ بواسطة الاستشهاد بنماذج إنسانية للنفس المؤمنة المنقادة إلى شريعة إلهية، وتمثل الاستشهاد بأن أسقف نجران قد بشَّر به، وسفيان بن مجاشع سمَّى ولده على اسمه "محمدا"؛ دالًّا بذلك على أنَّ بعثة النَّبي ﷺ ودعوته هي امتداد لدين إلهي قبله، مما يدل على صدقها؛ فالاستشهاد يقوِّي درجة التصديق بأمر ما ويهدف إلى تقوية حضور الحجة[٨٨]، ويدل كذلك على أنَّ تلك النماذج المستشهد بها هي قدوات للمخاطبين، فالنماذج الإنسانية تأتي لأجل الحض "على عمل ما؛ اقتداءً به ومحاكاة له ونسجًا على منواله"[٨٩].

٣. ٣ صورة الذَّات (Ethos) في الخاتمة

ظهرت صورة الذَّات (Ethos) في الخاتمة متمثلة في حوارٍ بين مالك بن نويرة وأكثم بن صيفي: "فقال مالك بن نُويْرة: قد خَرِفَ شيخكم، فقال أكثم: ويل للشجيِّ من الخلي... ولم يسعني".

---

(١) ينظر: طه عبد الرحمن، "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام"، (ط.٢، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠):٣٨.

(١) ينظر: عبد الله صولة، "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات": ٦٧_٦٨.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ٥٥.

(٣) المرجع السابق: الصَّفحة نفسها.

يبدو أن أكثم في مقولته: "ويل للشجي من الخلي..." لم يكن معبرًا فيها عن ذاته، وإنَّما كان مبيِّنا لفداحة ما قيل، وأسى على من قال؛ لأنَّ ثقة أكثم في خطابه حاضره؛ فهو قد ظهر بمظهر الخطيب المقبول والجدير بالثقة.

وقد ظهرت صورة أكثم في الخاتمة بأنَّه رجلٌ خرف من منظور مالك بن نويرة؛ والمظهر هو المثير الأوليّ الذي يحدد صورة الخطيب عند النَّاس(٩٠)، والمظهر الغالب على أكثم هو كبر سنه، وقد تدارك أكثم ذلك في بداية خطبته إذ قال: "كبرت سني" ففيه دلالة على ثقته بنفسه، وعلى حكمته فهو يدرأ أي أمرٍ قد يكون وسيلة للإنقاص من قيمة ما يدعو إليه، وهو يوجه هذا لمن لم تكن غايته معرفة الحق وسبيله.

إن مراعاة أكثم لذلك فيه دلالة على صورة ذاته الخبيرة ببناء الذَّات في الخطاب، فهو يعلم مكامن القوة والضعف في بنائه؛ لأنَّ "كل تقديم للذَّات يوجه إن طوعًا أو كرهًا الطريقة التي يدرك بها المتلقي شخصية المتكلم"(٩١)، فيقوم الخطيب بتأكيد صورته أو إعادة بنائها أو تعديلها من أجل إحداث انطباع ينسجم مع ما يدعو إليه(٩٢).

ولا غرابة في رد مالك بن نويرة؛ ففي كل خطاب حجاجي سيكون هناك تدافع بين الصُّورة التي يحاول الخطيب أن يعطيها وتلك التي يكونها المخاطب عنه (٩٣)، كما إن كل مقام حجاجي هو عرضة للتغيير والمخالفة والتحوير؛ تبعًا لتغير المقام وظروف المحَاجّ وفكره (٩٤).

وقد أظهرت الخاتمة صورة أكثم المشفقة والحريصة على هداية قومها والمهتمة لشأنه؛ فأكثم من أولئك الذين يتسمون بعظمة المشاعر الممزوجة ببعد العقل وحكمته، فأضحى البشر بالنسبة إليه أناس يقطنون داخله فهمومهم هم له وألمهم ألم له.

أن ألم أكثم الكبير كان لحال مالك (٩٥) "ويل للشجي من الخلي"؛ إذ ضلَّ على ضلاله القديم في الاعتقاد، ولم تكن لديه نية معرفة الحقيقة؛ لأنَّ بداية التغيير تأتي من الصدق مع النفس وبحثها عن الحقيقة، وهذا الأمر لم يدر في خلد مالك، الأمر الذي يفسر عبارات الأسى التي صدرت من أكثم، فهو قد عرف هذا منه؛ ولذلك كانت نهاية الحوار بينهما.

الخاتمة

درس البحث صورة الذَّات (Ethos) في خطبة أكثم بن صيفي في بني تميم في ضوء المقاربة الحجاجية، والتي يدعوهم فيها للإيمان بالنَّبي ﷺ وبدعوته. وتضمن البحث عددًا من النتائج منها:

---

(٤) ينظر: فايزة عالم وعبد الحليم بن عيسى، "مقومات فعل التَّأثير والاقناع في العملية الحجاجية": ٣٦٢.

(٥) كمال الزمالي، "الإيتوس المفهوم والتحولات": ٧٩.

(٦) ينظر: المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(١) ينظر: جورجيانا بوربيا، "الإيتوس أو بناء الهوية في الخطاب":٥.

(٢) ينظر: محمد الأمين، "مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة":٦١.

(٣) كان شاعرًا، قتل في حروب الردة في عهد أبي بكر الصديقﷺ: ينظر: كاظم الظواهري، "أكثم بن صيفي ومأثوراته":١٣٤.

_ أثبت البحث أنَّ خطاب أكثم في خطبته اعتمد على ذاته بعلمها وحكمتها، مما يدل على عدم فصل ذات المتكلم عن الخطاب الذي تلقيه، فالخطيب المتسلح بسمات الحكمة وسداد القول يتسم بنفوذ قوي في صورته الخِطَابية، فيكون وسيلة للتأثير في المخاطبين وإقناعهم فيما يصبو إليه من أهداف.

_ بنى أكثم صورته الخِطَابية في مقابل إعلائه من صورة النَّبي ﷺ؛ تحقيقًا لهدفه الأجل من خطبته وهو إقناع المخاطبين بدعوته ﷺ والإيمان بها يقينًا وحبا لها؛ فصورة الذَّات (Ethos) تُعدُّ آلية حجاجية تعمل إلى جانب الحجج اللغوية والعاطفية في بناء الخطاب الإقناعي.

_ أثبت البحث إسلام أكثم وإيمانه بالنَّبي ﷺ وبدعوته، دلَّت على ذلك مضامين خطبته، وحسن توظيفه للآليات الحجاجية في إقناع قومه بالإسلام، ممَّا يدل على عمق يقينه بصدق النَّبيﷺ وإيمانه به، فكانت الآليات عميقة وغير مباشرة من حسن انتقاء للكلمات (الحق، الباطل، العزة، الذلة...)، وتنوع الأساليب وإحكامها في تصوير صدق الدَّعوة وحتمية الإيمان بها، فهو يحاج بقوة وإصرار؛ لأنَّ ما يدعو إليه هو الحق عنده.

_ توخى أكثم في بناء حجاجه الخطابي على تحقيق عنصر التفاعل بينه وبين مخاطبيه، ممَّا حقق الكفاية التواصلية بينهم؛ فجاء بناء صورته الخطابية في خدمة ما يصبو إليه من أهداف.

_ حقق أكثم الحجاج بصورته الخطابية اعتمادًا على الآليات الحجاجية المتعددة: اللُّغوية والأسلوبية والربط بين الشخص وأعماله والقيم والحجاج بالثواب والعقاب.

التَّوصيات

يوصي البحث بدراسة الخطب والوصايا في العصر الجاهلي متمثلة في صورة الذَّات بنوعيها وفي ضوء المقاربة الحجاجية سعيًا إلى اكتشاف أبرز معالم الثقافة العربية القديمة وصور الحياة فيها.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

أحمد، سيد، (١٩٩٦). "القيم التربوية في قصص القران"، (ط.١، القاهرة، دار الفكر العربي).

أرسطوطاليس، (١٩٧٩). الخطابة الترجمة العربية القديمة، تر: عبد الرحمن بدوي، (ط. د، بيروت، دار القلم).

إلرود إبش وآخرون، (١٩٩٦). "المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي" ضمن كتاب نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة: محمد العمري، (ط. د، المغرب، إفريقيا الشرق).

الأمين، محمد، (٢٠٠٠). "مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة"، عالم الفكر، مج: ٢٨، (ع.٣) (٥٣_٩٧).

الأمين، محمد، (٢٠٠٨). الحجاج في البلاغة المعاصرة، (ط.١، لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة).

بارت، رولان، (١٩٩٤). البلاغة القديمة، تر:عبد الكريم الشرقاوي، (ط.١، المغرب: مطبعة النجاح

الجديدة).
بحر، عمرو الجاحظ، (١٩٦٨). البيان والتبيين، تح: فوزي عطوي، (ط.١، بيروت، دار صعب).
بدر، عبد الباقي وسميسم، أحمد، (٢٠٢٢). "تجليَّات الإيتوس في الشعر الإسلامي القُرشي دراسة على ضوء نظرية المُساءلة والمعنى لـ(ميشيل ماير)"، مجلة آداب المستنصرية، (ع.١٠٠)، (١_ ٢٤).
بروطون، فيليب، (٢٠١٣). الحجاج في التواصل، تر: محمد مشبال وعبد الواحد التهامي، (ط.١، القاهرة، المركز القومي للترجمة).
البلاذري، أحمد، (١٤١٧). جمل من أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار ورياض زركلي، (ط.١، دار الفكر، لبنان).
بليت، هنريش، (١٩٨٩). البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، (ط.١، الدار البيضاء، دراسات سال).
بوربيا، جورجيانا، (٢٠١٩). الإيتوس أو بناء الهوية في الخطاب، تر: أحمد الوظيفي، (ط. د، المغرب، *مؤمنون بلا حدود*).
جمال، رانية، (٢٠١٩). "الحجاج بالإيتوس في البلاغة الجديدة مخاطبة الأنثى في معلقة عنترة بن شداد نموذجا"، مجلة كلية الآداب، مج :٦٩، ع(٩٧)، (١_٣١).
الدهري، أمينة، (٢٠١١). الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، (ط. ١، الدار البيضاء، شركة النشر والتوزيع المدارس).
الزمالي، كمال، (٢٠٢١)."الإيتوس المفهوم والتحولات"، *مجلة الآداب واللُّغات والعلوم الإنسانية*، مج:٤، (ع.٩)، (٦٧_ ٨٨).
سلوان، توماس، (٢٠١٦). موسوعة البلاغة، تر: نخبة، إشراف وتقديم: عماد عبد اللطيف، (ط.١، القاهرة، المركز القومي للترجمة).
الشبعان، علي، (٢٠٠٨). "الحجاج بين المنوال والمثال نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري"، (ط.١، تونس، مسكيلياني للنشر).
شارودو، باتريك ومنغنو، دومينيك، (٢٠٠٨). معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري_ حمادي صمود، (ط. د، تونس، المركز الوطني للترجمة).
شارودو، باتريك، (٢٠١١). "الحجاج وإشكال التَّأثير"، تر: ربيعة العربي، ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي، (ط.١، الأردن، دار ورد الأردنية للنشر).
شارودو، باتريك، (٢٠١٥). "حول الإقناع في الخطاب السياسي"، تر: محمد الولي، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، (ع.٦).
شارودو، باتريك، (٢٠٢٤). "الحجاج بين مقاصد التَّأثير لوضعية التواصل"، تر: كمال الزماني، المجلة العربية لعلم الترجمة، مج: ٣، (ع.٦)، (١٦٧_١٨٢).
الشهري، عبد الهادي، (٢٠٠٤). إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، (ط.١، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة).
صولة، عبد الله، (٢٠١١). في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، (ط.١، تونس، مسكيلياني للنشر).
الظواهري، كاظم، (١٤١٢). "أكثم بن صيفي ومأثوراته"، (ط.١، دار الصابوني).
عالم، فايزة وعيسى، عبد الحليم، (٢٠٢٠). "مقومات فعل التَّأثير والاقناع في العملية الحجاجية"، مجلة

دراسات إنسانية واجتماعية، مج: ٩، (ع.١)، (٣٥٥_ ٣٦٨).
عبد البر، يوسف، (١٩٦٠). "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، تحق: علي البجاوي، (ط.١، القاهرة، مكتبة نهضة مصر).
عبد ربه، أحمد، (١٤٠٤). العقد الفريد، تح: مفيد قميحه، (ط.١، بيروت، دار الكتب العلمية).
عبد الرحمن، طه، (٢٠٠٠). "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام"، (ط.٢، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي).
عبيد، حاتم، (٢٠٠٧). "الباطوس من الخطابة إلى تحليل الخطاب"، فصول، (ع. ٧٠): (٣٦_٦٦).
عبيد، حاتم، (٢٠١٣). في تحليل الخطاب، (ط.١، عمان، دار ورد الأردنية للنشر).
العسقلاني، أحمدن (٢٠١٥). الإصابة في تمييز الصحابة، تحق: عادل عبد الموجود وعلي محمد، (ط.١، بيروت، دار الكتب العلمية).
علوش، سعيد، (١٩٨٥). معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، (ط.١، بيروت، دار الكتاب اللبناني).
قادا، عبد العالي، (٢٠٢١). "البعد الحجاجي في الخطاب الروائي: الإيتوس في رواية (بعيدًا من الضوضاء قريبا من السكات) أنموذجًا"، مجلة أبوليوس، مج:٨، (ع.١)، (٢٧١_ ٢٨٩).
القرني، قاسم، "النَّثر الفني عند أكثم بن صيفي جمعا وتوثيقا ودراسة"، رسالة ماجستير في الأدب والنقد، ١٤٣٦، كلية اللُّغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية.
مانجينو، دومينيك، (٢٠١٦). "مشكلات الحجاج بواسطة الإيتوس من البلاغة إلى تحليل الخطاب" ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب"، تر: حسن المودن، (ط.١، الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر).
محفوظ، علي، (ت. د). فن الخطابة وإعداد الخطيب، (ط. د، الجزائر، مكتبة رحاب).
مشبال، محمد، (٢٠١٧). "في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات"، (ط.١، الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر).
المغامسي، آمال، (٢٠٢٤). "بلاغة الإيتوس في خطبة منذر بن سعيد البلوطي"، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، (ع.٤٠): ٢٤٤_٢٧٠.
منظور، محمد، "لسان العرب"، (ط.١، بيروت، دار صادر، ١٣٠٠هـ).
الميداني، أحمد، (ت. د)، مجمع الأمثال، تح: محمد محي الدين، (ط. د، بيروت، دار المعرفة).
اليعقوبي، أحمد، (١٤٣١). تاريخ اليعقوبي، تحق: عبد الأمير مهنا، (ط.١، لبنان، شركة الأعلمي).

المراجع العربية بالحروف اللاتينية

Abdul Barr, Yusuf, (1960). Al-Isti'ab in Knowing the Companions, Edited by Ali Al-Bajawi, (1st ed., Cairo, Nahdat Misr Library).
Abdul Rabah, Ahmed, (1404 AH). The Unique Necklace, Edited by Mufid Qamih, (1st ed., Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah).
Abdul Rahman, Taha, (2000). On the Origins of Dialogue and the Renewal of Ilm A-Kalam (2nd ed., Casablanca, Arab Cultural Center).
Ahmed, Said, (1996). Educational Values in Quranic Stories, (1st ed., Cairo, Dar Al Fikr Al Arabi Housing).
Al-Aloosh, Said, (1985). Dictionary of Contemporary Literary Terms, (1st ed., Beirut, Dar Al-Kitab Al-Lubnani).
Al-Amin, Mohammed, (2008). Argumentation in Contemporary Rhetoric, (1st ed., Lebanon, Dar Al-Kitab Al-Jadid).
Al-Amin, Mohammed Salem, (2000). The Concept of Argumentation in Perelman and its Development in Contemporary Rhetoric, Alam Al-Fikr, Vol. 28, Issue 3, (53-97).

Al-Asqalani, Ahmed, (2015). Al-Isabah in Identifying the Companions, Edited by Adel Abdul Mawgoud and Ali Mohamed, (1st ed., Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah).
Al-Baladhuri, Ahmed, (1417 AH). Excerpts from the Genealogies of Al-Ashraf, Translated by Suhail Zakar and Riyad Zarkali, (1st ed., Dar Al-Fikr, Lebanon).
Al-Dahri, Amina, (2011). Argumentation and Discourse Construction in Light of New Rhetoric, (1st ed., Casablanca, Publishing and Distribution Schools Company).
Al-Midani, Ahmed, (n.d.). The Collection of Proverbs, Edited by Mohammed Muhyiddin, (n.d., Beirut, Dar Al-Ma'arifa).
Al-Mughamsi, Amal, (2024). The Rhetoric of Ethos in the Sermon of Mundhir ibn Sa'id al-Balluti, Journal of Taibah University for Arts and Humanities, (Issue 40): 244-270.
Al-Qarni, Qasim, (1436 AH). Art of Prose in Aktham Ibn Saifi: Collection, Documentation, and Study, Master's Thesis in Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language, Umm Al-Qura University, Saudi Arabia.
Al-Shab'aan, Ali, (2008). Argumentation Between Pattern and Example: Reflections on the Literature of Al-Jahiz and the Interpretations of Al-Tabari, (1st ed., Tunis: Meskiliani Publishing).
Al-Shahri, Abdul Hadi, (2004). Discourse Strategies: A Linguistic Pragmatic Approach, (1st ed., Beirut, Dar Al-Kitab Al-Jadid).
Al-Yaqoubi, Ahmed, (1431 AH). History of Al-Yaqoubi, Edited by Abdul Amir Mahna, (1st ed., Lebanon, Al-Alami Publishing House).
Al-Zahawari, Kazem, (1412 AH). Aktham Ibn Saifi and His Sayings, (1st ed., Dar Al-Sabouni).
Al-Zamani, Kamal, (2021). Ethos: Concept and Transformations, Journal of Arts, Languages, and Humanities, Vol. 4, (Issue 9), (67-88).
Alam, Faiza, and Issa, Abdul Halim, (2020). Components of Influence and Persuasion in the Argumentative Process, Human and Social Studies Journal, Vol. 9, (Issue 1), (355-368).
Aristotle, (1979). Rhetoric, the Ancient Arabic Translation, Translated by Abdel Rahman Badawi, (n.d., Beirut, Dar Al-Qalam).
Baher, Amr Al-Jahiz, (1968). al-Bayān wa-al-tabyīn, Edited by Fawzi Attoui, (1st ed., Beirut, Dar Sa'ab).
Badr, Abdel Baki and Samesim, Ahmed, (2022). The Manifestations of Ethos in Pre-Islamic Quraysh Poetry, Al-Mustansiriya Journal of Arts, Vol. 100, (1-24).
Barthes, Roland, (1994). Ancient Rhetoric, Translated by Abdel Karim Al-Sharqawi, (1st ed., Morocco: Al-Najah Al-Jadida Press).
Blit, Heinrich, (1989). Rhetoric and Stylistics: Towards a Semiotic Model for Text Analysis, Translated by Mohammed Al-Omari, (1st ed., Casablanca, Sal's Studies).
Borbia, Georgiana, (2019). Ethos or Identity Construction in Discourse, Translated by Ahmed Al-Wazifi, (n.d., Morocco, Believers Without Borders).
Bruton, Philippe, (2013). Argumentation in Communication, Translated by Mohammed Mishbal and Abdel Wahid Al-Tahami, (1st ed., Cairo, National Center for Translation).
Elrod Ibsch et al., (1996). Rhetorical and Poetic Status in Rhetorical Studies in the Book Theory of Literature in the Twentieth Century, Translated by Mohammed Al-Omari, (n.d., Morocco, Africa Orient).
Jamal, Rania, (2019). Argumentation through Ethos in New Rhetoric: Addressing Women in the Poem of Antarah Ibn Shaddad, Journal of the Faculty of Arts, Vol. 69, Issue 97, (1-31).
Mangino, Dominique, (2016). Problems of Argumentation through Ethos: From Rhetoric to Discourse Analysis in the Book: Argumentative Analysis of Discourse, Translated by Hassan Al-Modan, (1st ed., Jordan, Dar Knouz Al-Ma'arifa Publishing).
Mahfouz, Ali, (n.d.). The Art of Rhetoric and Preparing the Orator, (n.d., Algeria, Rahab Library).
Manzoor, Muhammad, (1300) "Lisan al-Arab", (1st edition, Lebanon: Beirut, Dar Sader.
Mishbal, Mohammed, (2017). In the Rhetoric of Argumentation: Towards a Rhetorical-Argumentative Approach to Discourse Analysis, (1st ed., Jordan, Dar Knouz Al-Ma'arifa Publishing).
Qada, Abdul Ali, (2021). The Argumentative Dimension in Narrative Discourse: Ethos in the Novel 'Far from the Noise, Close to Silence' as a Model, Apolus Journal, Vol. 8, (Issue 1), (271-289).
Sawla, Abdullah, (2011). In Argumentation Theory: Studies and Applications, (1st ed., Tunisia, Maskiliya Publishing).
Sharodo, Patrick, and Mangno, Dominique, (2008). Dictionary of Discourse Analysis, Translated by Abdel Qader Al-Mehiri and Hamadi Samoud, (n.d., Tunisia, National Center for Translation).
Sharodo, Patrick, (2011). Argumentation and Forms of Influence, Translated by Rabiaa Al-Arabi, in the Book Argumentation and Rhetorical Inference, (1st ed., Jordan, Dar Ward Jordanian Publishing).
Sharodo, Patrick, (2015). On Persuasion in Political Discourse, Translated by Mohammed Al-Wali, Journal of Rhetoric and Discourse Analysis, Vol. 6.
Sharodo, Patrick, (2024). Argumentation Between Purposes of Influence and Communication Context, Translated by Kamal Al-Zamani, Arab Journal of Translation Science, Vol. 3, (Issue 6), (167-182).

Sulwan, Thomas, (2016). Encyclopedia of Rhetoric, Translated by Nukhba, Supervised and Presented by Imad Abdul Latif, (1st ed., Cairo, National Center for Translation).
Ubaid, Hatem, (2007). Al-Batos: From Rhetoric to Discourse Analysis, Fosool, (Issue 70), (36-66).
Ubaid, Hatem, (2013). In Discourse Analysis, (1st ed., Amman, Dar Ward Jordanian Publishing).

The Ethos in the Sermon of *Aktham bin Saifi* delivered to *Banu Tamim*: An Argumentative Approach

Faizah Salim Al-Juhani

Assistant Professor of Rhetoric and Criticism, Department of Arabic Language
College of Arts and Humanities, Taibah University, Medina, Saudi Arabia

fthobuana@taibahu.edu.sa

Abstract

The current study aims to identify the ethos in the sermon of Aktham bin Saifi in Banu Tamim in light of the argumentative approach. It also aims to identify the images of the self that Aktham created for himself, and to reveal its argumentative role in persuading the addressees to accept the contents of the speech, aiming which is to accept Islam and follow the Prophet Mohammad (PBUH)'s teachings. The paper is presented in the following sections, including an introduction including objectives, its significance, previous studies and its methodology, etc. Specifically, this paper briefly presents the concepts of argumentation and ethos as well as the research axes that include: the text of the sermon, the definition of its speaker and its occasion. It then identifies the elements in the sermon based on the most prominent multiple argumentative mechanisms that contributed to constructing the rhetorical ethos. Following the analysis is a conclusion that includes the most prominent results, including the following: the synergy of rhetorical ethos with pre-rhetorical ethos appearing in the construction of Aktham's ethos, showing his characteristics of wisdom which is characterized by strong influence in his rhetorical ethos. Also, the influence and persuasion of the addressees were evident in Aktham's sermon, as his construction of the rhetorical image appeared in his elevation of the image of the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him), in order to persuade the addressees of his call and to believe in it with certainty. The study recommended studying ancient Arabic prose represented by ethos in its two types and in light of the argumentative approach in an effort to reveal images of Arab selves and their characteristics, as well as to highlight the features of ancient Arab culture and images of life in it.

Keywords: Ethos, Aktham, Hajjaj, Rhetorical image, Eloquence.